وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

البعد الاجتماعي في شعر محمد العيد آل خليفة

مذكرة تخرج استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب العربي الحديث والمعاصر .

إعداد الطالبين:

بلقاسم محسن

عامر بن زيان

إشراف الأستاذ:

د إبراهيم إيدير

نوقشت هذه المذكرة وأجيزت علنا يوم: 08 / 09 / 2022م أمام لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د. عمار حلاسة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة ورقلة
د.إبراهيم إيدير	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا	جامعة ورقلة
د.أيوب بن حود	أستاذ مساعد	مناقشا	جامعة ورقلة

السنة الجامعية: 2021م ـ 2022م / 1443هـ ـ 1444هـ

شكر وعرفان

بعد شكر الله وحمده نتقدم بكلمة شكر وعرفان إلى كل من مد لنا يد العون في إنجاز عملنا هذا ونخص بالذكر أستاذنا المشرف " إبراهيم إيدير " الذي قدم لنا يد العون, وأنار لنا الطريق وتحمل معنا بصبره الجميل وتواضعه معنا في إنجازنا لهذا البحث فكان نعم الأستاذ والمشرف, فنتشكرك أستاذنا جزيل الشكر والعرفان وجزاك الله عنا كل خير يارب .

كما لا ننسى كل من قدم لنا يد العون

سواء بالكتاب ، أو الرأي ، أو الدعاء ، أو الكلمة الطيبة

وشكرا .

إهداء

نهدي ثمرة جهدنا هذا إلى آبائنا وأمهاتنا الكرام

وإلى أستاذنا المشرف الذي مد لنا يد

العون والمساعدة ولم يبخل عنا بشيء

كما لا ننسى كل أستاذ تعلمنا على

يديه ، وكما لا ننسى كل من مد

لنا يد العون والمساعدة

إليكم منا كامل الحب والتقدير .

عامر بن زيان ومحسن بلقاسم

مقدمة

مقدمة .

عاشت الجزائر أبشع ويلات الاستعمار سياسيا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، وفكريا ، حيث طبق أساليب الظلم ، والاستحقار ، والاستبداد ، والتجهيل ، والطمس للهوية والدين كافة وكل هذا حرَّك مشاعر الأدباء والشعراء للتعبير عن هذا الواقع المرير والصعب ، والوقوف ضد هذا المحتل الغاصب وذلك بالدفاع عن الوطن ، والدين ، وعن الشعب أيضا ، والدعوة للكفاح والنضال للتخلص منه ومن ويلاته .

وقد عبر عن ذلك الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة الذي هو نموذج بحثنا من خلال شعره عن واقع المجتمع الجزائري ، وخاصة إبان فترة الاحتلال الفرنسي ، وبدفاعه عن الدين والوطن ودعوته للكفاح والنضال ونرى من خلال ديوانه كيف تجسد ذلك الدفاع وكيف عبر عنه آل خليفة .

وممَّا لا شك فيه أنَّ اختيار موضوع البحث يعزى إلى جملة من الأسباب منها:

– إسهام محمد العيد آل خليفة من خلال دعوته للنضال والكفاح في نيل ما تمناه كل الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي .

– امتلاكه شخصية قوية وذلك من خلال ما عبر عنه من خلال شعره في ديوانه .

– تعبيره عن انتمائه للوطن الحبيب والأمة العربية وضرورة الدفاع عنهم جميعا وعن الدين الإسلامي الذي ننتمي له .

– تجسيد كل أبعاد الشعر الوطنية والقومية والسياسية والدينية في شعره تجسدا واضحا.

وتهدف دراستنا إلى تحقيق أهداف منها:

– تتبع الأبعاد الاجتماعية وكيف تجسدت في شعر محمد العيد آل خليفة .

-دراسة مدى تعبير آل خليفة عن الواقع المعاش وعن كل مجالاته .

أمَّا المنهج الذي اعتمدته دراستنا فهو المنهج الاجتماعي؛ لأنَّه المنهج الذي يخدم موضوع بحثنا ؛ بحكم أنَّ الموضوع هو موضوع اجتماعي يمثل المجتمع الجزائري ؛ ولذلك فإنَّ المنهج الاجتماعي هو المناسب له.

أما الإشكالية الرئيسية التي قام عليها البحث فكانت مصوغة في السؤال الآتي:

كيف كان السياق العام لشعر محمد العيد آل خليفة ، وما أهم القيم الإنسانية ، والاجتماعية ، والدينية التي حملها شعره ؟

أما الإشكاليات الفرعية فكانت:

- ما معطيات النتاج الشعري عند محمد العيد آل خليفة ؟ وما بنياته؟

- كيف كان الشعر الاجتماعي عنده ؟ وما أبعاده؟

وكما كانت خطة بحثنا كالآتي:تمهيد وفصلين ،حيث خصصنا الفصل الأول للسياق العام لشعر محمد العيد آل خليفة ، وقد تطرقنا في مبحثه الأول إلى معطيات النتاج الشعري عند محمد العيد آل خليفة ، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه البنية الفنية واللغوية لشعر محمد العيد آل خليفة .

بينما خصصنا الفصل الثاني للأبعاد الشعر عند محمد العيد آل خليفة ، حيث إنَّنا تناولنا فيه البعد الاجتماعي في شعر محمد العيد آل خليفة في مبحثه الأول ، والبعد الإنساني في مبحثه الثاني ، والبعد الديني في مبحثه الثالث .

ومن أهم الدراسات السابقة التي أفادتنا في بحثنا هذا ما يلي:

– لطيفة زواري فرحات ، الأبعاد الإنسانية والفنية في الشعر الجزائري الحديث ـ ديوان محمد العيد آل خليفة شاهدا ـ .

– إبراهيم لقان ، ملامح المقاومة ضد الاستعمار (شعر محمد العيد آل خليفة دراسة فنية)

– هيبة مسعي ، التجربة النقدية لأبي القاسم سعد الله محمد العيد آل خليفة –دراسة ونقد–.

وأهم مصدر اعتمدناه في بحثنا :

– ديوان محمد العيد آل خليفة .

ومن المراجع المستعملة في بحثنا نذكر مايلي :

–أبو اليقظان ، جريدة الأمة ،عدد 135 نقلا عن حمادي عبد الله :أصوات من الأدب الجزائري الحديث ، دار البعث، قسنطينة – الجزائر،2001

–ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،تح:محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت –لبنان ،ط1981،5م،ج1.

–أبو القاسم سعد الله ،شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت –لبنان ،ط1984،1م.

–إميل بديع يعقوب ،المعجم المفضل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،ط1991،1م.

–أنيسة بركات دردار ،أدب النضال في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، د ط م1984.

–علي جعفر العلاق ،في حداثة النص الشعري (دراسة نقدية)،دار الشرق ،عمان – الأردن ،ط2003،1م.

–قدامة بن جعفر ،نقد الشعر ،تح: محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان ،دط، دت.

-عبد العزيز عتيق ،علم البديع ،دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، دط، دت.

-محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر: حسن فتح الباب ، الدار المصرية اللبنانية ، (ط1)،(ت2002).

-مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب

- محمد بن سمينة ،محمد العيد آل خليفة ، دراسة تحليلية لحياته ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، دط ، 1992م.

في ختام البحث لا يسعنا إلا أن نشكر الله العلي الجليل أن أعاننا على إتمام هذا البحث ، والشكر موصول كذلك للجنة المناقشة .

تمهيد

تمهيد .

بما أنَّ الموضوع اجتماعي ومحمد العيد آل خليفة شاعر مبدع في ذلك ، فيتوجب علينا هاهنا إبراز علاقة الأدب بالمجتمع ، من حيث إنَّهما وجهان متلازمان للتعبير عن واقع المجتمع ، حيث نجد بذلك الفيلسوف الألماني « نتشه » يقول: " من لم يكن يحيى ليكشف الحقيقة كاملة ويستمتع لما طاب له من نعيم الدنيا لن يكون ذلك كاتبا ، وإنَّما هو أفاك مزور لا قدر له ولا مقام له " [1] ، وهنا يؤكد " نتشه " ضرورة أن يكون إنتاج الأديب اجتماعيا محضا ، ويجب عليه أن يكشف واقع مجتمعه ، ومعاناته ، وكل ما يعيشه هو ومجتمعه الذي يمثله .

ومنه فإنَّ الأديب يعكس صورة مجتمعه وواقعه ؛ لأنَّ الأدب يبنى من خلال المجتمع كما هو الحال مع آل خليفة الذي يمثل بدوره مجتمعه ومعاناته وكل ما عاشه وما يعيشه هو ومجتمعه وبشكل دقيق في شعره ، فالشاعر لا يسمى شاعرا اجتماعيا إلا إذا استقى علمه وأفكاره من أعماق مجتمعه ويعكس الصورة الحقيقية له ، سواء كان إنتاجا أدبيا أو شعريا فعلاقة الأديب بمجتمعه تكون مترابطة جدا ، وذلك من خلال التعبير عن الانتماء لهذا المجتمع الذي ترعرع فيه وخضع لعاداته وتقاليده ، وهذا ما يسمى بربط الأدب والفن بالمجتمع الذي يعيش فيه الشاعر والأديب ، ويصبح بذلك خاضعا لكل ما يعيشه مجتمعه وهذا ما يسمى بعلاقة التأثر والتأثير ، فعندما يكون حال الأمة مؤثرا في الشاعر أو الأديب فإنَّ ذلك ينعكس في نفسه وشخصه .

[1] شبكة النبأ المعلوماتية: علاقة الأدب بالمجتمع ،annabaa.org: //http،2022/06/14،11:20.

الفصل الأول

السياق العام في شعر محمد العيد آل خليفة .

❖ **المبحث الأول .**

معطيات النتاج الشعري عند محمد العيد آل خليفة .

❖ **المبحث الثاني .**

البنية الفنية والجمالية اللغوية في شعر محمد العيد آل خليفة

المبحث الأول: معطيات النتاج الشعري عند محمد العيد آل خليفة .

إنَّ ممعن النظر في أبيات لشعر لا يرهقه من أمره عسرا أن يلاحظ أنَّ أهم أداة تميِّز الشعر عن سائر أفانين الكلام هو لغته ، هذه اللغة التي تعتبر قطب الجودة ومدار التأليف حتى قال القائل: " في كل قصيدة عربية قصيدة ثانية هي اللغة " [1] ، لذلك كان لزاما على الشاعر أن ينتقيَ كلماته ويصطفيها .

أولا: العامل الاجتماعي وغرضه الإصلاحي .

بالنظر للظروف السيئة التي عاشها محمد العيد آل خليفة وكل المجتمع الجزائري من قساوة المحتل الغاصب وصعوبة الحياة في هذه الفترة مما جعل آل خليفة يتوجه في شعره للتعبير عن هذه المعاناة حيث عبر وبكل صدق عن واقع المجتمع الجزائري حيث أنه يشترك معه في الاضطهاد والقهر ، وكما عانى المجتمع من طمس الهوية الوطنية التي تعد الأساس لكل الشعوب وكذا التجويع ونهب الخيرات وكذا سياسة التهجير أيضا وكل هذا ظروف صعبة وقاسية عاشها المجتمع والشاعر آل خليفة بحد ذاته مما أسهم في نتاج شعر اجتماعي يحاكي الظروف الاجتماعية السيئة والصعبة التي تعرض لها برفقة المجتمع الجزائري يقول في ذلك إبراهيم أبو اليقظان: " لقد تسلط على الأمة الجزائرية عوامل ثلاثة لو تسلط عامل واحد منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها ، فبقيت الحالة عرضة للتلف والاضمحلال والهلاك " [2] ، وهنا يبين الشوائب والمصائب التي ألمت بالأمة الجزائرية .

---

1 علي جعفر، العلاق في حداثة النص الشعري (دراسةً نقديةً)،دار الشروق عمان – الأردن، ط1 ، 1424هـ،2003م ص:23.

[2] ينظر: أبو اليقظان ، جريدة الأمة ،عدد 135 نقلا عن حمادي عبد الله :أصوات من الأدب الجزائري الحديث دار البعث،قسنطينة – الجزائر،2001،ص:27.

وكما نجد السعيد زهري في كتاب " شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة " لأبي القاسم سعد الله يرى أنَّ المجتمع الجزائري كافة وحتى الشاعر آل خليفة عانوا قساوة واستبداد المحل حيث صعبت الحياة الاجتماعية وساد التشاؤم ، والذل ، والهوان في أوساط المجتمع وهذا ما جعل محمد العيد آل خليفة هنا يعبر عن هذه الحالة بنظرة يسودها القهر والاضطهاد.

وكما كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور مهم في إصلاح المجتمع من الشرك ومظاهره والتجريد من العادات والتقاليد والفساد والمساوئ الأخلاقية حيث أنها معتقدات خاطئة بثها المستعمر الفرنسي في أوساط المجتمع الجزائري حيث كان كل هدفه من هذا طمس شخصية وهوية هذا الشعب الأبي وأن تبقى الجزائر فرنسية بما تحمله الكلمة من معنى فلا مكان للدين ولا مكان للغة العربية التي تمثل هوية الشعب الجزائري ولهذا جاءت الحركة الإصلاحية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين مطبقة لمبادئها الإصلاحية وهي الدفاع عن الدين الإسلامي من دنس المحتل الغاصب والدفاع عن الأرض والوطن وإصلاح المجتمع من كل الشوائب التي نشرها الاستعمار فيه ومنه نجد محمد العيد آل خليفة والذي يعد عضوا مهما في هذه الجمعية حيث لعب دورا كبيرا في إصلاح المجتمع داعيا للحفاظ عن الدين والوطن وضرورة الدفاع عنهما وذلك من خلال نشره للمفهوم الصحيح للإسلام ومقاومة الانحراف وتوعية المواطنين والدفاع عن قضايا شعبه ، وكما يعتبر آل خليفة ركنا من أركان الإصلاح والوطنية يحمل لواء الدعوة إلى المقاومة.

ثانيا: العامل السياسي .

كان الاحتلال الفرنسي للجزائر من بين أهم المؤثرات المسهمة في النتاج الشعري لدى محمد العيد آل خليفة، حيث إنَّ فترة الاحتلال كانت أسوء فترة مر عليها الشعب الجزائري فكانت كلها اضطهاد، واستحقار ، وطمس للهوية الشخصية وللدين الإسلامي ، وسلب للحرية والاستقلال حيث أنشأ المستعمر الفرنسي المحتشدات وقطع كل السبل أمام الشعب

لكي لا يتحقق شيء اسمه التخلص من الاحتلال، وكما نجد أنيسة بركات دردار التي تؤكد في كتابها " أدب النضال في الجزائر " بشكل صريح سياسة العنصرية ، والتجهيل ، والتفرقة بين أفراد المجتمع الجزائري ، والسعي لتفريق وحدته، وكذا إفشاء الفتنة بين الناس وبث الكراهية وإبعاد الناس عن دينه معتقداتهم الدينية ، وكما كان أيضا شعار المستعمر «فرق تسد».[1]

وبما أن حب الوطن والعقيدة كان ناميا في نفس محمد العيد آل خليفة مما دعاه للدفاع عن وطنه وعن عقيدته وعن مقومات هذا الشعب الأبي من خلال دعوته لإصلاحه مما بثه المستعمر فيه ، حيث كان يدعو دائما للتمسك بالوطن والدفاع عنه حيث يقول في أحد أشعاره:

إِذَا مَا رُمْتَ لِلأَوْطَانِ عِزًا فَجُدْ بِالنَّفْسِ وَاسْتَبْقِ الفِدَاءَ[2]

وتعتبر أحداث الثامن ماي 1945 من أبرز الصور الدالة على جرائم الاستعمار الفرنسي وكذبت ادعاءاته ووعوده بأن يمنح الاستقلال للجزائريين وما حدث من إخلاء للديار وقتل للأحياء بدون شفقة ، ومحتشدات ، وتعذيب ، واستباحة لحرمات النساء والتجريد من الأراضي والممتلكات ، كان صداه كبيرا في نفوس الجزائريين عامة وفي نفسية الشاعر خاصة ؛ حيث ذهب للتعبير عن فظاعة المستعمر ، وبشاعته ، وتبيان صورته الحقيقية للعالم حيث قال آل خليفة:

فَضَائِعَ مَايْ كَذَّبَتْ كُلَ مَزْعَمٍ لَهُمْ وَرَمَتْ مَا رَوَجُوهُ بِإِفْلَاسِ

[1]– أنيسة بركات دردار،أدب النضال في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الرغاية– الجزائر،دط،1984م ص:34 (بتصرف واختصار) .

2– محمد العيد آل خليفة،ديوانه،دار الهدى للنشر والتوزيع،عين مليلة – الجزائر،دط،2010م.

دِيَارٌ مِنَ السُّكَانِ تُخْلَى نِكَايَةً وَعَسْفًا وَأَحْيَاءٌ تُسْقَا لِأَرْمَاسِ[1]

وكان لثورة الفاتح نوفمبر 1954 الأثر الكبير في شعر محمد العيد آل خليفة ، حيث إنَّه بعد ما حدث في الثامن ماي 1945 تأكد في نفوس الجزائريين ضرورة الكفاح المسلح وأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع ولا يسترد إلا بالقوة ، وقد دعا لهذا الشاعر محمد العيد آل خليفة في شعره ؛ حيث دعا الشعب للوقوف يدا واحدة والتحضير لهذا العمل المسلح الذي كان هدفه تحرير الجزائر من عبودية المستعمر ، وظلمه واستبداده ، فشكلت بذلك الثورة التحريرية محورا مهما وأساسيا في النصوص الشعرية للشاعر محمد العيد آل خليفة وغيره من الشعراء الآخرين ، فالحديث عن الثورة في القصائد ارتبط بحب الوطن الذي ضحى أبناؤه من أجل تحقيق الحرية ونيل الاستقلال ويقول محمد العيد آل خليفة في ذلك:

وَمَا الحُرُّ إِلَا مَنْ تَيَمَّمَ مَعْهَدا لِيَقْتَبِسَ العِلْمَ الصَحِيْحَ فَيَنْفَعَا

وَإِلَا مَنِ اخْتَاضَ الوَغَى فِي كَتِيْبَةٍ لِيَفْتَحَ مِصْرًا أَو يُلَاقِي مَصْرَعًا

فَيَاَ أَيُهَا الشَّعْبُ الذَّلِيلُ أَمَا تَرَى لِجَارِكَ هَمًا بِالسَّعَادَةِ مُولَعًا[2]

وهنا نرى آل خليفة يدعو الشعب الجزائري بالثورة ضد المحتل الغاصب من أجل تحرير الجزائر كما تحررت الكثير من الدول التي كانت تحت الاستعمار وتتخلص بذلك الجزائر من كل جرائم وسلطنة العدو .

ومن هكذا استقى محمد العيد آل خليفة أشعاره من عمق مجتمعه ويدعوه لمواصلة الكفاح والنضال حتى آخر قطرة دم من أجل الحرية فالحرية تأخذ ولا تعطى ويقول في إحدى قصائد ديوانه مستبشرا بالنصر والاستقلال والحرية المطلقة للشعب الجزائري:

3- محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:326.

[2]- المصدر نفسه،ص:173.

تَرَقَّبْ خَيْرُ مَوْلُودٍ جَدِيدٍ بِمَوْلِدِهِ تَمَخَضَتِ اللَّيَالِي

فَإِنَّ الثَّوْرَةَ اكْتَشَفَتْ مَدَاهَا وَلَاحَ لَهَا التَحَرُرُ كَالهِلَالِ

وَقُلْ لِابْنِ الجَزَائِرِ كُنْ صَمُودًا فَنَصْرُ اللهِ لِلْبُأَسَاءِ تَالِي[1]

ونرى الشاعر وهو يتفاءل هنا بالاستقلال والحرية وهو ما تحقق بعد ذلك ، ونالت الجزائر مرادها وتحقق بذلك النصر .

ثالثا: العامل الفكري .

يعتبر المنبع الأول لثقافة محمد العيد آل خليفة وفكره أسرته التي عاش فيها ، حيث إنَّه أخذ منها الكثير ، كحب الوطن وحب العقيدة والقيام بتعاليمها والتحلي بها ، إضافة إلى تعلمه وحفظه القرآن الكريم في الكتاتيب والتحاقه بالمدارس الدينية وبجامع الزيتونة واتصاله بالعديد من الشيوخ حيث كان من صغره وهو يتعلم ويأخذ من العلماء وكتبهم ومؤلفاتهم .

وكما كان منذ صغره يتعلم منهم ومن ما يؤلفونه ويصدروه ليأخذ منهم العلم النافع ويعمل به إلى أن أصبح أديبا وشاعرا مبدعا في ذلك

وبما أن حياته الدينية بنيت على طهارة القلب والتواضع يقول في بيت شعري :

إن التَوَاضُعَ مِنْ سِمَاتِ البِرِّ مَنْ يَعْتَدْهُ فَهُوَ البَرُّ فِي الأَقْوَامِ[2] .

وكما نجد محمد بن سمينة في كتابه محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته يشبه شخصية محمد العيد آل خليفة بشخصية الصحابي الجليل حسان بن ثابت الذي لقب بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يربط في التشبيه بينهم فهم بذلك يربطهم رابط واحد وهو الإبداع والتعبير عن الحال بلسان القلم الذي يعبرون به وكما يبين أيضا أن محمد العيد آل

1-محمد العيد آل خليفة ،الديوان ،ص:389.

2-المصدر نفسه ،ص243.

خليفة حارب المحتل بقلمه ودعا الشعب الجزائري من خلاله للكفاح والنضال من أجل تحرير الوطن كما هو الحال مع الصحابي الجليل حسان بن ثابت حيث شارك في الغزوات من خلال قلمه وهذا هو وجه التشابه الذي بينه لنا محمد بن سمينة .[1]

وكما أكد ذلك محمد العيد آل خليفة حين قال في إحدى قصائده:

أُسَالِمُ النَّاس فِي عَيْشِي فَإِنْ عَمَدُوا إِلَى خِصَامِي فَسَيْفِي :الشِّعْرُ وَالأَدَبُ.

وَإِنْ دَعَانِيْ قَوْمِي أَنْ أُنَاصِرُهُمْ فَعُدَتِيْ فِي انْتِصَارِيْ: الشِّعْرُ وَالأَدَبُ[2] .

وهنا محمد العيد آل خليفة يبين الدور الجوهري للقلم في إيصال الصوت عاليا وتحقيقه للانتصار، فالقلم واللسان كانا عدتين ناجحتين للشاعر في إيصال رسالة الحق والرفرفة بها عاليا فالحق يعلو ولا يعلى عليه.

رابعا: طبيعة شعر محمد العيد آل خليفة .

كان الشاعر محمد العيد آل خليفة من بين أهم الشعراء التزاما ، ومن بين الموضوعات التي تبين ذلك دفاعه عن الوطن وعن الدين الإسلامي وكذا اللغة العربية والقضية الفلسطينية وغيرها من الموضوعات التي بينت التزامه بصورة واضحة وأول ما نبدأ موضوع الدفاع عن الوطن :

يعتبر الدفاع الوطن الحبيب من أهم وأولى التزامات الشاعر آل خليفة حيث نجد ذلك بكثرة في قصائد ديوانه حيث نجد آل خليفة يقول في قصيدته «بلادي»:

[1]– محمد بن سمينة،محمد العيد آل خليفة (دراسة تحليلية لحياته)،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون – الجزائر،دط 1984 ، ص34.

[2]–محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:50.

بِلَادِي فِدَاكِ الرُّوحُ وَاللهُ عَالِمُ عَلَيكِ سَلَامٌ خَالِصُ القَصْدِ سَالِمُ[1].

يتبين هنا من خلال قول آل خليفة أنه ملتزم كل الالتزام بالدفاع عنه وطنه وحمل راية الدعوة للدفاع عنه وذلك من خلال دعوة الشعب أيضا لفداء الوطن بالنفس والنفيس ولأن الدفاع عنه وعن الأرض لا يكون إلا بالتضحية وإشعال نار الفداء وخاصة مع المحتل فلا يكون استرداد الوطن والأرض إلا بما ذكره محمد العيد آل خليفة .

كما يقول أيضا في قصيدة بعنوان «استوح شعرك»:

يَا مَوطِنًا لِي خِصْبُهُ وَنَعِيمُهُ وَلَهُ هَوَايَ عَلَى المَّدَى وَتَشَّيُعِي.

مَا زَالَ حُبُّكَ نَاشِئًا مُتَرَعْرِعًا فِيَّ نَاشِئٌ بِجَوَانِحِي مُتَرَعْرِعِ.

أَقْسَمْتُ لَو خَيَّرْتَنِي فِي مِصْرَعٍ مَا اخْتَرْتُ إِلَا فِي سَبِيلِكَ مَصْرَعِي[2].

فهو بذلك يقسم بالتضحية والفداء من أجل الوطن وتحريره من دنس المحتل وتحقيق الحرية والاستقلال واسترجاع ما أخذ بالقوة .

ويقول أيضا في قصيدته عز الأوطان :

إِذَا مَا رُمْتَ لِلأَوطَانِ عِزًا فَجُدْ بِالنَّفْسِ وَاسْتَبْقِ الفِدَاء [3]

وهنا أيضا يؤكد آل خليفة عن وجوب ولزوم التضحية والفداء من أجل الوطن وتحريره فهو أمر لازم على كافة أفراد المجتمع وحتى الشاعر ذاته مما جعله يدعو لذلك بكل إصرار وإلحاح .

[1]–محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص135.

[2]– المصدر نفسه،ص144.

[3]–المصدر نفسه ،ص543.

ومن خلال جملة القصائد التي دافع فيها عن الوطن أوصل آل خليفة الرسالة لكل الأمة الجزائرية بأن الوطن جوهرة ولؤلؤة إن فقدت فقد الشعب كرامته وأرضه وكل ما يملكه لذا دعا وألح من خلال جملة الأبيات التي تناولها في قصائده على ضرورة التضحية والكفاح من أجله .

وكما نجد في موضوع آخر من موضوعات التزام آل خليفة دفاعه عن اللغة العربية وهي اللغة الأم للأمة العربية جمعاء فهي تدعو للوحدة الفكرية والروحية بين الأمة العربية وهذا ما عمل المستعمر على طمسه ومنعه من الظهور وخاصة في الجزائر التي سعى فيها جاهدا من أجل منع هذا وذلك بواسطة التجهيل ونشر الأمية وكما فرض لغته الغريبة بين أوساط المجتمع وذلك بواسطة فئة تعمل لصالحه وهذا ما دعا آل خليفة لحمل لواء الدفاع عنها والوقوف وجها لوجه ضد محاولات المحتل في القضاء عليها نهائيا ومن خلال ذلك أيضا دعا آل خليفة وبواسطة جمعية العلماء المسلمين كافة أفراد المجتمع للقيام بالدفاع عليها والدعوة لإصلاحها من هذه الشوائب الدخيلة على الأمة الجزائرية خاصة والأمة العربية عامة وكما يقول آل خليفة في ذلك :

وَمَا نَحْنُ إِلَا مِنْ سُلَالَةِ يَعْرُبِفَ مَنْ رَامَ عَنْهَا فَصَلَنَا بَاءَ بِالرُّغْمِ[1].

وهنا يؤكد آل خليفة على أن الأمة العربية والشعب الجزائري واحد ولا يمكن لأي كان فصل الجزائر عن الأمة العربية مهما كان الحال فالحفاظ عن العربية والدفاع عنها وإصلاح المجتمع بها هو مكسب من مكاسب تدمير المستعمر والتغلب عليه فهي سلاح حاد ضده .

[1]–محمد العيد آل خليفة ، الديوان ،ص205.

ويقول أيضا :

سَلَامٌ كَأَزْهَارِ الرُّبَى طِيِّبَ الشَذَى عَلَى كُلِ قُحٍ فِي عُرُوبَتِهِ شَهْمُ[1].

وهنا نراه يعتز ويفتخر بعروبته وأن كل عربي أصيل هو شهم ، فالاعتزاز والافتخار باللغة العربية وحمل اللواء لخدمتها والدفاع عنها يرهب المستعمر ولا يجعلهم يبلغ مبتغاه .

وكما كان الدفاع عن الدين الإسلامي من بين أهم المحاور التي تثبت التزام آل خليفة حيث أن الدفاع عن الدين الإسلامي من واجبات المسلم الفذ الذي يغار على دينه ويحميه من الطمس والشوائب التي تحيط به والوقوف ندا ضد من يحاول المساس به وهذا ما فعلته جمعية العلماء المسلمين والتي يعد آل خليفة من بين أهم أعضائها الداعين لإصلاح المجتمع من المعتقدات الفاسدة الاستعمارية وضد الشوائب التي تمس بالدين وحث المجتمع بالدفاع عنه وعدم السماح للمحتل بأن ينشر معتقداته الفاسدة ويفسد معه المجتمع الجزائري والأمة الإسلامية أيضا التي تواجه التحديات من الغرب المسيحي الذي يسعى لطمس الدين ومنه نجد آل خليفة داعيا وملحا وحاملا اللواء لإصلاح الأمة من ما سعى له المحتل من مفاسد غير خلقية ومنافية للدين ودعا أيضا للدفاع بكل إصرار حيث يقول:

فَتَدَارَسُوا القُرْآنَ فَهُوَ هُدًى لَكُمْوَشِفَاءُ أَنْفُسِكُمْ مِنَالأَسْقَامِ[2].

وهنا نرى آل خليفة يلح على المجتمع بالتمسك بالقرآن الكريم وأنه هداية وشفاء لكل مسلم من الشوائب والمعتقدات الفاسدة التي لا تصح للمسلم أن يتخلق بها أو أن يمارسها فالقرآن يدعو دائما للخلق والصفات الحسنة .

ويقول في قصيدته «صدى الصحراء»:

[1]– محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:205.

[2]– المصدر نفسه،ص220.

أَفِيقُوا فَهَذَا الدِّينُ فِي رُبُوعِكُمْ تُنَازِلُهُ الأَحْدَاثُ شَرَ نِزَالِ[1] .

وهنا أيضا يلح عن الدفاع عن الدين فالشوائب والمفاسد تواجهه من كل الجهات وبقوة لذا فالتمسك به والدفاع عنه أصبح أمرا لازما ومحتوما على كل عربي ومسلم .

ومن أهم وأبرز الموضوعات التي تبين التزام آل خليفة التزامه بالدفاع عن فلسطين والتي تعتبر قضيتها قضية شاملة لكل عربي ومسلم حيث حمل لواء الدفاع عنها ودعا للكفاح والنضال من أجل تحريرها من دنس اليهود الغاصبين الذين يعتدون على حرمة الإسلام بتدنيس المسجد الأقصى الذي هو رمز للإسلام والمسلمين يقول في قصيدته تقسيم فلسطين :

يَا قِسْمةَ القُدْسِ أَنْتِ ضِيزَى لَمْ يَعْدِ لِالقَاسِمُون فِيكِ.[2]

وهنا يتأسف عن حال فلسطين وما آلت إليه من تقسيم وظلم من طرف الإنجليز وهذا ظلم إجحاد في حق الفلسطينيين ويقول في بيت آخر متحديا الإنكليز والمحتل الصهيوني قائلا :

القُدْسُ للعَرَبِ مِنْ زَمَانِ لَنْ يَقْبَلُوا فِيهِ مِنْشَرِيكِ[3].

وهنا يتحدى وبكل إصرار كل صهيوني يعتقد أن القدس لهم فهو بالحق مخطأ وهذا ما أكده آل خليفة بالنبرة المتحدية والمصرة على النصر للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية والتي هي قضية كل الجزائريين وكل العرب والمسلمين .

[1]–المصدر نفسه ،ص19.

[2]–محمد العيد آل خليفة ، الديوان ،ص286.

[3]المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

ويقول في قصيدته «فلسطين العزيزة »:

فِلِسْطِينُ العَزِيْزَةُ لَا تُرَاعِي فَعَينُ اللَهِ رَاصِدَةٌ تُرَاعِي[1] .

الشاعر هنا يتحدى ويثبت للعدو بأن فلسطين محمية من الله سبحانه وتعالى وأن المحتل مهما فعل ومهما طال الزمن أو قصر فإن بلاد المقدس ستنال حريتها بإذن الله فلا ولن تهدم بإذن الله وهذا ما يسمى بنبرة التحدي عند الشاعر آل خليفة وهذا مايبين مدى عزه وافتخاره بانتمائه للعروبة .

فلِسْطِينُ العَزِيزَةُ لَا تَخَافِي فَإِنَ العُرْبَ هَبُّوا للدِّفَاعِ[2].

وهنا يبرز للشعب الفلسطيني بأنه ليس وحيدا في مواجهة المحتل الصهيوني وأن العرب جميعا معهم بالنفس والنفيس وأنهم مستعدين دائما للكفاح والنضال والدفاع عن أرض فلسطين .وكما تناول قضايا أخرى من بينها الحرية والاستقلال وقضايا أخرى أوضحت التزام آل خليفة في شعره .

[1]–المصدر نفسه ، ص303.

[2]محمد العيد آل خليفة ، الديوان ، ص303.

المبحث الثاني: البنية الفنية والجمالية اللغوية في شعر محمد العيد آل خليفة .

أولا: اللغة والأسلوب.

تعتبر اللغة الشعرية أحد أهم الأدوات التي تميِّز الشعر عن سائر أنواع الكلام لكونها لغة إبداعية بامتياز تحمل بين طيَّاتها سمات إيقاعية ، وجمالية ، وتركيبية تبرز السماتِ الجماليةَ

للغة .

لمَّا كانت جودة الكلام وحسنه تكمن في حسن التأليف بين الكلمات وإقامة علاقات جديدة بينها كان من الضرورة على ناظم الكلام أن يعتمد كل الاعتماد على ما تتيحه له اللغة من طاقات ، لذلك فإنَّه لا بدَّ عليه أن يخرج باللغة عمَّا عهده العامَّة وابتكار أساليب جديدة ، ومن ذلك استعمال الضمائر في السلسلة الكلامية ، ولا يخفى على أحد الأهمية التي يُضفيها الضمير في حلقة التواصل ؛ لكونه يُخرج اللغة من رتابة الاستعمال والتكرار فبدلا من أن يُعيد المتكلِّم لفظة بعينها فإنَّه يستعمل الضمير للكناية عنها ويسلم من حشو الكلام وركاكته .

يظهر لنا جليا من الأشعار التي نظمها محمد العيد آل خليفة تأثره الكبير بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة ، وهذا لكونه أحد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ومن المواضع التي اقتبس فيها محمد العيد من القرآن الكريم نجد قوله:

فَشَا الجُوعُ واشْتَدَّ عُسْرُ المَعَاشِ وَعَادَتْ سَنَواتُ يُوسُفَ الغَابِرَة[1]

[1] محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:360.

هذا القول مقتبس من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤيَايَإِنْ كُنْتُم لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (يوسف / 43) .

نَتَوَاصَى بِالحَقِّ وَالصَّبْرِ فِيهِ وَالتَّوَاصِي تَضَامُنٌ وَجِهَادٌ[1]

وهو مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر / 1-3) .

وقال أيضا:

وَيَسَّرْتَ لِلْعُسْرَى عَدُوَّكَ نَادِمًا عَلَى حُكْمِهِ البَاغِي

فَسَلْ رَبَّكَ المَنَّانَ أَنْ يُسْبِغَ الرِّضَا عَلَيْكَ بِلَا سَلْبٍ وَيُوزِعْكَ الشُّكْرَا[2]

هذه نماذج بسيطة من الاقتباس ، وقد أكثر محمد العيد آل خيفة الاقتباس في أغلب قصائده ، أمَّا فيما يخص لغته فإنَّه يمكننا أن نقول: إنَّها لغة تتَّسم ببساطة الأسلوب في النظم ، ووجاهة الخطاب ، وتخلو من الإيحاء والإيماء ، وتبعد أيَّما بعد عن زخرف القول وكذا وحشيه .

ثانيا: الموسيقى والعروض .

أ- الموسيقى الخارجية .

يُعتبر الوزن ركنا أساسيا في الشعر العربي لذلك قيل في تحديد ماهية الشعر: " إنَّه قول موزون مُقفَّى " [(3)] ، فهو يُسهم أيَّما إسهام في تأثيث معمارية البناء الشعري ، فهو

2-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:389.

3-المصدر نفسه،ص:402.

1-قدامة بن جعفر،نقدالشعر،تح: محمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،دط،دت،ص:64.

" أعظم أركان حد الشعر ، وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة " [1] ، فهو بذلك المعيار الذي يقاس به الشعر ؛ فبدونه لا يكون الكلام شعرا ؛ لأنَّه الإيقاع الذي يضفي على الكلام رونقا وجمالا ، ويحرِّك النفس ، ويثير فيها النشوة والطربف الوزن ، إذن ، سمة جمالية قابلة للتوظيف شعريا .

إنَّ نظم الشاعر أبياتِه على وزن شعري ، وقافية واحدة ، هو قطب الجودة ومدار التأليف ؛ لكونه أثناء التصوير الفني يتأرجح بين حبلين: أن يكسر اللغة للحفاظ على الوزن وأن يكسر الوزن للحفاظ على اللغة ، ويضم البحر الشعري بين متحركاته وسكناته خلجاتِ الشاعر ، وأفكارَه ، وأحاسيسَه ومشاعرَه ، " واختيار البحر المناسب للقصيدة له وظيفة أسلوبية تتجلَّى في علاقة الوزن بموضوع القصيدة ومضمونها ، ومن هذا كان الوزن شيئا واقعا على اللفظ الدَّالِّ على المعنى ".[2]

سار محمد العيد آل خليفة على نهج الأقدمين في نظم الشعر ، فجاءت كل قصائده منظومة في الشعر العمودي معتمدة على أوزان الخليل الشعرية ، والملاحظ أنَّ محمد العيد زاوج في النظم بين البحور الشعرية التامة (الطويلة) والمجزوءة ، ومن ذلك قوله في قصيدة " بلادي " التي نظمها على البحر الطويل:

بِلَادِي ، فِدَاكِ الرُّوحُ ، وَاللَّهُ عَالِمُ عَلَيْكِ سَلَامٌ خَالِصُ القَصْدِ سَالِمُ

بِلَادِي فِدَاكِ رْرُوحُ وَلْلَهُو عَالِمُو عَلَيْكِ سَلَامُنْ خَالِصُ لْقَصْدِ سَالِمُو

0//0/ 0//0/ /0/0 //0/ 0/0// /0// 0//0/ /0/0 //0/ 0/0// /0//

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن

2-ابن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الجيل بيروت – لبنان، ط5 ، 1401هـ،1981م،ج01،ص:134.

3-نور الدين السد،المكونات الشعرية في بائية مالك بن الريب،مجلة اللغة والأدب،العدد الرابع عشر،1999م،ص:35.

ونظم قصيدة أخرى وفق بحر من البحور الطويلة ، وهي قصيدة " من وحي الثورة والاستقلال" التي نظمها على البحر الكامل ، وقال فيها:

وَطَنِي المُفَدَّى بِالْكِفَاحِ تَحَرَّرَا وَمَصِيرُهُ بَعْدَ النَّجَاحِ تَقَرَّرَا[1]

وَطَنِ لْمُفَدْدَبِلْكِفَاحِتَحَرْرِرَاوَمَصِيرُهُو بَعْدَ نْنَجَاحِتَقَرْرَرَا

0//0// /0//0 /0/ 0//0/// 0//0// /0//0/ 0/0//0 ///

مُتَفَاعِلُنْمُتْفَاعِلُنْمُتَفَاعِلُنْمتفاعلنمُتْفَاعِلُنْمُتَفَاعِلُنْ

أمَّا فيما يخص القافية فإنَّ محمد العيد قد نظم قصائده على قوافٍ شملت غالبية حروف اللغة العربية ، وكذا بنوعيها: المطلقة والمقيَّدة ، ومن ذلك قوله:

مَا جَاءَ (يوليو) وَاسْتَهَلَّ هِلَالُهُ إِلَّا تَهَلَّلَ شَعْبُنَا وَاسْتَبْشَرَ[2]

فقافية هذا البيت هي كلمة: تَبْشَرَا ، وهي قافية رائية مطلقة .

ومن القوافي المقيَّدة قوله:

سِرْ مَعَ التَّوْفِيقِ فَهُوَ الدَّلِيلْ حَصْحَصَ الحَقُّ وَبَانَ السَّبِيلْ[3]

قافية هذا البيت هي كلمة: سْبَيِلْ ، وهي قافية لاميةٌ مقيَّدة .

ب- **الموسيقى الداخلية .**

تعتبر الموسيقى الداخلية جوهر الإيقاع ودره ، فهي أحد أهم الأجزاء التي تُسهم في إكساء الشعر حلة موسيقية تستطيبها أنفس القارئين وتستلذ آذانهم لسماعها .

1-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:404.

2-المصدر نفسه،ص:405.

3-المصدر نفسه،ص:122.

ومن الظواهر الداخلية نجد:

- **التصريع .**

يُعتبر التصريع من العناصر التي تُسهم في إبراز جماليات البيت الشعري وذلك من خلال الإيقاع الذي يُحدثه فيها ، والتصريع هو " أن يجعل الشاعر العروض والضرب متشابهين في الوزن والروي في البيت المُصرَّع ، على أن تكون عروض البيت فيه تابعة لضربه ؛ تنقص بنقصه وتزيد بزيادته ".[1]

ومن ذلك قول الشاعر:

أَيُّهَا الشِّعْرُ ، أَنْتَ جَنَانِي وَوَحْيُ خَاطِرِي وَسِحْرُ بَيَانِي[2]

تجلَّى التصريع في هذا البيت في التفعيلتين الأخيرتين اللتين ختمتا بنفس الترنُّم وهو صوت النون ، أمَّا من حيث موسيقاها فإنَّها أضفت على القصيدة نغما موسيقيا ولحنا عذبا يتمثَّل في تكرار صوت النون ، وكذا الياء المكسورة المتصلة به ، كما أنَّها أعطت القصيدة مساحة صوتية تجعلك تحسب أنَّ البيتين بيتا واحدا لتماثل نهايتيهما .

- **الجناس .**

هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى .[3]

ومن ذلك قول محمد العيد آل خليفة:

لَوْ أَنَّها اقْتَبَسَتْ مِنْ نُورِهِ وَجَنَتْ مِنْ رَوْضِهِ الْتَحَفَتْ فِي الطُّهْرِ بِالحُورِ

1-إميل بديع يعقوب، المعجم المفصَّل في علم العروض ، والقافية ، وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1 1411هـ،1991م،ص:193-194.

2-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:241.

1-عبد العزيز عتيق ،علم البديع ،دار النهضة العربية، بيروت- لبنان،دط،دت،ص:196.

فِي كَلِّ مَرْحَلَةٍ تَزْدَادُ ظُلْمَتُهَا فِي الرَّأْيِ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا سُورَةَ النُّورِ[1]

تجلَّى الجناس في هذا البيت بين لفظتي: الحور والنور ، وهو جناس ناقص ، ويكتسي الجناس أهمية مرموقة في موسيقى القصيدة من حيث إضفاؤه نغما موسيقيا حلوا عليها لِمَا فيه من مزايا إيقاعية تقوم على التشابه ، والتماثل ، والترجيع ، ممَّا يؤدِّي إلى استقطاب السمع وجذب الخيال لتتبُّع عناصر التشابه الصوتي التي تنطوي على اختلاف معنوي بين اللفظين المجنَّسين .

- **التكرار .**

والتكرار هو " الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني ، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره ".[2]

للتكرار أثر كبير في إيقاع القصيدة ، فهو يملك قدرة كبيرة على توكيد المعنى وتقريره في النفس ؛ ولا يتأتَّى ذلك إلا باتِّحاده مع الحالة النفسية للشاعر وكذا تجربته الشعورية تلك التجربة التي تفرض وجودا معيَّنا للتكرار وتسهم في توجيهه ؛ إذ أنَّه يشكِّل متنفَّسا للشاعر وللشعور الذي ينتابه ، سواء كان ذلك بالإيجاب أو بالسلب .

ورد التكرار في قول الشاعر:

أَيُّهَا التَّارِكُ الصَّلَاةَ ، أَبِنْ لِي أَيُّ عُذْرٍ لَهُ تَرَكْتَ الصَّلَاةَ

أَيُّ عُذْرٍ لَهُ تَرَكْتَ الصَّلَاةَ تُكْسِبُ العَبْدَ خِشْيَةً وَأَنَاةَ[3]

2-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:254.

3-ينظر:مجدي وهبة وكامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،ص:117.

1-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:249.

كرَّر الشاعر هنا لفظ الصلاة في بيتين متواليين ، وذلك لعظم اللفظ المكرَّر ، " سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر "[1] ، فقد كرَّر هذا العنصر المعجمي ليؤكِّد بذلك أنَّه بؤرة دلالية تأخذ منها القصيدة موضوعها ، وتتمثَّل قيمة التكرار في تكثيف الشعور بأهمية المعنى الذي تؤدِّيه الوحدة المكرَّرة ، فقد أدَّى تكرار هذه الكلمة بهذه الصورة إلى تحقيق تماسك وحدات تلك الأبيات وتآلفها ، وتشكيل نغمة صوتية داخلية متميِّزة تضفي على القصيدة دفقات موسيقية عذبة ومحدثة بذلك إيقاعا يعكس مشاعر الغضب والتحسُّر على تضييع الصلاة .

2-ينظر:ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا)،الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،تح: أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان، ط1 ، 1418هـ،1997م،ص:158.

الفصل الثاني

أبعاد الشعر عند محمد العيد آل خليفة

❖ **المبحث الأول .**

البعد الاجتماعي .

❖ **المبحث الثاني .**

البعد الإنساني .

❖ **المبحث الثالث .**

البعد الديني .

المبحث الأول: البعد الاجتماعي .

أ-الوطني.

يعتبر الشاعر محمد العيد آل خليفة شاعرا وطنيا وقوميا بما تحمل الكلمة من معنى ؛ لأنه كان دائما يريد له الحرية لوطنه وللأمة الإسلامية أيضا ، وما ميزه عن غيره هو صدق الإحساس والإخلاص في الفن وسنستظهر بعض المقطوعات من ديوانه الشعري والتي تبين موقفه المساند والمدعم للشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي الغاصب والذي دعا من خلالهم الشعب للنضال والكفاح يقول في قصيدته «عز الأوطان»:

إِذَا مَا رُمْتَ لِلأَوْطَانِ عِزًا فَجُدْ بِالنَّفْسِ وَاسْتَبِقِ الفِدَا

وَإِنْ حَمَلَ الخُصُومُ عَلَيكَ يَومًا فَقُمْ لِنِضَالهم وَخُضِ الدِّمَاء[1]

نرى الشاعر هنا يعتز بوطنه ويدعو الشعب للكفاح والنضال من أجل تحريره من المستعمر الغاشم الذي سلب الأرض والوطن .

وكما نجد الشاعر يذكر قوة وشجاعة جيش التحرير الوطني والذي وقف دفاعا وفداء لهذا الوطن الأبي ، وبذكر الشاعر لبطولة جيش التحرير في نضاله ودفاعه عن وطنه فقد بث روح القتال والصمود في قلب الشعب ولآخر رمق حتى يتحقق الانتصار وتتحقق الحرية والاستقلال ضد المحتل الفرنسي الغاصب حيث يقول في أبيات من قصيدته تهنئة الجيش وتحية العلم :

وَجَبْهَتُنَا تَجْلُو الظَلَامَ، وَجَيْشُنَا لَنَا حَارِسٌ يَحْمِي البِلَادَ مِنَ الخُسْرِ .

[1]-محمد العيد آل خليفة ، الديوان ،ص492.

وَأُمَتُنَا مَجْمُوعَةُ الشَّمْلِ حُرَّةٌ وَدَوْلَتُنَا مَسْمُوعَةُ الأَمْرِ والنَّهْي.

وَدَامَ لَنَا تَحْرِيرُنَا وَنِظَامُنَا وَدَامَ لَنَا اسْتِقْلَالُنَا أَبَدَ الدَّهْرِ[1] .

وهنا نجده يمدح جبهة التحرير وجيش التحري الوطني ويبين دورهما العظيم في المقاومة والكفاح السياسي من أجل تحرير الجزائر من دنس المستعمر حيث وقفتا له سدا منيعا وخصما عنيدا داخليا وخارجيا واستطاعتا بعد ذلك تدمير المحتل على كل الجوانب .

وكما نجده يدعو ويخاطب فيها الشعب بضرورة مكافحة المحتل الفرنسي الذي يريد طمس ومحو الهوية الوطنية ويطبق الظلم والاستحقار والاستبداد ويحاول منع الجزائريين من تحقيق حلم الاستقلال والحرية ويمحو عزة وكرامة هذا الشعب الأبي حيث يقول محمد العيد آل خليفة مخاطبا الشعب ويؤكد أيضا على ضرورة العمل على مجابهة العدو لنيل الحرية والاستقلال وكما هو معروف أن ما يؤخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة فما بالك بالوطن الحبيب يقول :

أَتَخضَعُ للضِّيمِ يَا ابنَ الأُبَاةِ وَتُطْرَقُ مُسْتَسْلِمًا للأَذِيةِ[2] .

حيث يدعو للكفاح والنضال وعدم الخضوع والاستسلام للمحتل الغاصب وسياساته الهمجية .

كما نجده في أبيات أخرى فرحا وسعيدا حيث يتغنى بالحرية والاستقلال الذي تحقق جراء الكفاح والنضال الذي قام به الشعب الجزائري وجيش التحرير وجبهة

[1]–محمد العيد آل خليفة ، الديوان ، ص396.

[2]–المصدر نفسه ،ص، 381.

التحرير عندما شكل الجميع صفا واحدا ممثلين الوحدة الوطنية والتي أعطت الوحدة الوطنية يقول آل خليفة:

وَطَنِي المُفَدَّى بِالكِفَاحِ تَحَرَرَا وَمَصيره بَعد النَّجَاحِ تَقَرَرَا .

فَابنُ الجَزَائِرِ صَارَ سَيِدُ أَرَاضِيهَا وَالغاصِبَ المحتَلُ وَلَى مُدْبِرًا .

بَشْرَى لَنَا بِحُكُومَةٍ عَرَبِيةٍ شَعْبِيَةٍ رَعَتِ البِلَادَ لِتَعْمُرَا[1] .

نرى آل خليفة الذي يتغنى بتحقيق التحرير والاستقلال والذي كان مفقودا قرابة 132 سنة وهي مدة طويلة جدا وكما أثنى على الكفاح المسلح من طرف جيش التحرير وكذا جبهة التحرير التي كان لها صدى داخليا وخارجيا ، فبهما وبفضل تكاتف الشعب الجزائري نالت الجزائر استقلالها مثل بقية شعوب العالم .

ب–**القومي** .

كان محمد العيد آل خليفة شاعرا قوميا بما تحمله الكلمة من معنى ونلحظ ذلك من خلال قصائده وحيث أنه تناول القضايا العربية التي تمثل قوميته حيث تفاعل مع هذه القضايا وكان شعره ممثلا لها وأول هذه القضايا هي القضية الفلسطينية والتي تمثل بدورها قضية كل عربي ومسلم وفي أكثر من موقع ذكر آل خليفة التواطؤ الخبيث بين كل من الاستعمار البريطاني والصهاينة في احتلال أرض فلسطين حيث يقول في قصيدته " التاميز" يتحسر فيها على أرض فلسطين وما آل إليه الحال اليوم ويهاجم التسلط الإنجليزي المجرم :

بَنِي التَامِيزِ قَدْ جُرْتُمْ كَثِيرًا فَهَلْ لَكُمْ عَنِ الجُورِ ازْدِجَارُ؟

[1]–محمد العيد آل خليفة ، الديوان، ص404.

أَفِي أَسْوَاقِكُمْ نَصْبًا وَغَصْبًا تَسُومُ(القِبْلَةَ) الأُولَى التُّجَارُ[1]

ويقول أيضا :

يَا قِسْمَةَ القُدْسِ أَنْتِ ضِيْزَى لَمْ يَعْدِلِالقَاسِمُونَ فِيكِ .

مَضَوا عَلَى الحَيْفِ لَمْيُبَالُوا بِمَا جَرَى مِنْ دَمٍ سَفِيكِ

القُدْسُ لِلعَرَبِ مِنْ زَمَانٍ لَنْ يَقْبَلُوا فِيهِ مِنْشَرِيكِ[2]

حيث إن الشاعر هنا تحدث عن خطورة التقسيم وأن للعرب الحق في أرض فلسطين الأبية ولا يمكن للعدو تقسيمها.

وقال في قصيدته استوح شعرك يدعو الأمة الجزائرية أن تشد جوانحها نحو نصرة الأقصى وتخليصه من دنس الاحتلال الصهيوني ومن ظلمه واستبداده واستحقاره ولأن أرض الأقصى الشريف مقدسة لدى العرب والمسلمين :

هَلَا أَغَثْتَ القُدْسَ مِنْكَ بِلَفْتَةٍ غِيرَى عَلَى شَعْبٍ هُنَاكَ مُرَوَعُ

القِبْلَةُ الأُولَى تَضُجُ وَتَشْتَكِي مِنْ قِسْمَةِ المُسْتَأْثِرِ المُسْتَنْفِعِ[3]

وثاني القضايا التي تناولها قضية الوحدة العربية والذي يعد آل خليفة أكثر الشعراء عناية بهذا الجانب وذلك للحنين القوي الذي يربطه بالشرق والشرق عنده يعني العروبة والعروبة تعني الإسلام حيث يقول :

إِنَّ لِلعَرَبِ فِي الحَضَارَةِ قِدَمًا قِدَمًا لِلوَرَى عَلَيهَا اسْتِنَادُ.

2-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:374.

1-محمد العيد آل خليفة ،الديوان ،ص:314.

2-المصدر نفسه،ص:147.

كَمْ وَعَوْا فِي الحِجَازِ مِنْ قَبْلِ رُومَا وَأَثِينَا مِنْ حِكْمَةٍ وَأَفَادُوا[1]

فهنا بدوره يبين آل خليفة يشيد بالحضارة التي كان العرب أسبق إليها كما إرتباط آل خليفة بالعروبة جعله يشيد بالماضي الذي يربط الجزائر بالوطن العربي .

ويقول أيضا:

وَمَا نَحنُ إِلَا مِنْ سُلَالَةِ يَعْرُبِ فَمَنْ رَامَ عَنهَا فَصَلَنَا بَاءَ بِالرُّغْمِ

سَلَام كَأَزهَارِ الرَبَى طَيِّبُ الشَّذَى عَلَى كُلِ قُحٍ فِي عُرُوبَتِهِ شَهْمِ[2]

فهنا يؤكد الشاعر عروبة الجزائر والتي كان الاستعمار الفرنسي دائما يسعى لطمسها وهدمها وذلك بعدة وسائل كالتجهيل وغيره.

ويقول أيضا:

أَرَى دَاءَ الشِّقَاقِ بِنَا تَفَشَى فَكَيْفَ يَكُونُ لَنَا مِنْهُ التَوَّقِي؟

بَنِي الإِسْلَامِ خَلُّوا الخَلْفَ إِنَّا إِلَى الإِسْلَامِ نَعْزَى دُونَ فَرْقِ[3]

فهنا محمد العيد آل خليفة يدعو للبعد عن التفرقة والشقاق اللذين يسببان البعض والكراهية بين العرب والمسلمين ويجعلوهم يحيدون عن طريق الحق وعن الدين وهما فتنة كبيرة لهم .

أما القضية الثالثة التي تكلم عنها وهي الحرية والاستقلال حيث عبر آل خليفة عن ذلك في أكثر من مرة في شعره حيث يقول :

3-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:114.

1-المصدر نفسه،ص:205.

2-المصدر نفسه،ص:84.

أَمَلٌ تَحَقَقَ بَعْدَ طُولِ نِضَالِ وَمِثَالُ فَوْزٍ كَانَ خَيْرَ مِثَالِ

أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ غِبْطَةٍ مِنْ أُمَةٍ مَهْضُومَةٍ حَظِيَتْ بِالاسْتِقْلَالِ[1]

فهنا يشيد الشاعر بالاستقلال الذي حققه الليبيين بعد جهاد وكفاح طويل وذكر بأنه خير مثال يجب أن يتبع وكما أنه جلب الفرحة والمسرة للأمة جمعاء وعبر عن فرحة الجزائريين أيضا بهذا النصر العظيم الذي حققه الشعب الليبي الشقيق .

وقال أيضا :

مِنْ مُبَلِغِ السُودَانِ عَنَا أَنَنَا شِيَعٌ لَهُ بِشُعُورِنَا خِلَّانُ .

نَتَبَادَلُ القِبْلَاتَ بِاسْتِقْلَالِه فَرَحًا وَإِنْ طَافَتْ بِنَا الأَحْزَانُ[2]

فهنا يتحدث الشاعر عن فرحه وفرحة الشعب الجزائري بهذا النصر العظيم الذي حققه الشعب السوداني رغم الإحساس بالمرارة على واقع الجزائر التي كانت لا تزال تحت وطأة الاستعمار.

ويقول أيضا:

مُتَسَائِلِينِ عَنِ الجَزَائِرِ هَلْ دَنَا تَحْرِيرُهَا أَمْ حَظُهَا الحِرْمَانُ

وَمَتَى تُقَرِرُ كَالشُّعُوبِ مَصِيرُهَا فَقَدِ اسْتَقَلَتْ دونها الأَوْطَانُ[3]

فهنا الشاعر يتساءل عن حال وطنه الجزائر بعد أن حققت غيرها الاستقلال وكما تساؤل عن متى ينتفض الشعب الجزائري وينتصر على هذا المستعمر الغاشم

3-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:349.

1-المصدر نفسه،ص:356.

2-المصدر نفسه،الصفحة نفسها .

ويحقق حريته واستقلاله .

ج-الإصلاحي .

يعتبر محمد العيد آل خليفة من أكثر الشعراء الإصلاحيين وتجسد ذلك في قصائده الشعرية ؛ولأنه تربى في عائلة إصلاحية ؛ ولأنه من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تدعو للإصلاح وتنفيذ مبادئه ومن بين أشعار آل خليفة في الإصلاح نذكر :

طَلَعْتُمْ عَلَينَا كَالكَوَاكِبِ فِي الدُّجَى وَسِرْتُمْ عَلَينَا كَالسَحَائِبِ فِي الجَدْبِ

بَسَطْنَا لَكُمْ مِنَا قُلُوبًا حَفِيَةً فَدُوسُوْا عَلَيْهَا لَا تَدُوسُوْا عَلَى التُرَابِ[1]

فهنا يمجد الشاعر أهل العلم والوعظ والإرشاد ويدعو الناس لتمجيدهم وتمجيد ما يحملونه من علم وإرشاد وإصلاح نافع ، فباتباعهم نكون قد سلكنا طريق الصواب .

ومن بين قصائده الإصلاحية الاحتفاء بالأعياد والمناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف وغيره من المناسبات ،وقد احتفى بالمولد النبوي الشريف في عدة قصائد ومن بينهم قصيدته سلوا التاريخ التي قال فيها عن المولد النبوي الشريف :

عَلَيكَ سَلَامُ شَعْبٍ فِيكَ يُؤْذَى وَيُرْمَى بِالتْعَصُّبِ وَالجُمُودِ

ضَعِيْفٌ مَالَهُ فِي العَيْشِ حَظٌّ سِوَى دَمْعٌ يَسِيْلُ عَلَى الخُدُودِ

يَشِحُّ عَلَيْهِ بِالتَّحْرِيرِ دَهْرٌ سَخَا لِلمُلْكِ حَتَى لِليَهُودِ

فَكَادَ يَبُوءُ بِالخُسْرَانِ مِمَّا يُلَاقِي اليَومَ مِنَ فَشَلِ الجُهُودِ

1-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:226.

بَنِي الإِسْلَامِ هَذَا يَوْمُ ذِكْرَى مُعَطَرَةٍعَلَى مَرِ العُهُودِ

سَلُوا التَارِيخَ عَنْ أَزْكَى رَسُولٍ رَؤُوفٍ بِالكِتَابِ لَكُمْ وَدُودُ[1]

فهنا الشاعر لم يكتفِ فقط بتمجيد ذكرى المولد النبوي الشريف بل تجاوز ذلك بالدعوة للكفاح والنضال من أجل الاستقلال ونيل الحرية المفقودة .

وقال أيضا :

هَيْهَاتَ يَعْتَرِي القُرْآنَ تَبْدِيلُ وَإِنْ تَبَدَلَ تَوْرَاَةٌ وَإِنْجِيلُ

قُلْ لِلذِّينَ رَمَوا هَذَا الكِتَابَ بِمَا لَمْ يَتَفِقْ مَعَهُ شَرْحٌ وَتَأْوِيلُ

هَلْ تُشْبِهُونَ ذَوِي الأَلْبَابِ فِي خَلْقٍ إِلَا كَمَا تُشْبِهُ النَّاسَ التَمَاثُلِ[2]

فهنا نرى أن الشاعر يرد على التشكيك الاستعماري وحملته المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة تكذيب ما جاء به القرآن الكريم والدفع بالناس للبعد عن الدين .

ومنه فهذه القضايا الإصلاحية التي تناولها آل خليفة في شعره تبين مدى التزامه بالإصلاح وذلك بالوعظ والإرشاد .

2-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:184.

1-المصدر نفسه،ص:81.

المبحث الثاني: البعد الانساني .

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الشعر ليس مجرَّد أوزان وقوافٍ ، أو مجموعة من الكلمات تحكمها علاقات معيَّنة تعبِّر عن معنى من معاني النفس ، أو خلجة من خلجات العقل وإنَّما يتعدَّى ذلك ليرقى أن يكون مرآة الحياة ، فهو الوسيلة التي يستعملها الشاعر لتبليغ رسالة من رسائل الحياة .

ولا يخفى على المتأمل لشعر محمد العيد آل خليفة أنَّه حمل المعاني الإنسانية التي خلَّت اسم محمد العيد آل خليفة كأحد أعظم الرجال الذين عرفتهم الساحة الجزائرية ، فقد كان صوت الثورة وقلمها ، وكان النور الذي يُهتدى به من الظلمات .

لذلك صوَّر الشاعر حالة المجتمع الذي كان ملاذه الشارع الذي لا حول له ولا قوة، فمن المعلوم أنّ الاستدمار الفرنسي قسم الجزائرين وأخرجهم من دورهم بين فقير حياته مزرية، وغني في عز وجاه، فيصف الشاعر حالهم في قوله:

وَلَوْلَا الجُوعُ لَمْ يَنْبَشْ قُمَامًا *** وَلَمْ يَشْتَقْ إِلَى مَا فِي القُمَامِ

فَيَا وَيْحَ الفَقِيرِ يَمُوتُ جُوعًا *** وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَقْوَامِ حَامِي

يَطُوفُ عَلَى المَزَابِلِ حَيْثُ يَرْجُو *** فُتَاتَ الخُبْزِ أَوْ قِطَعَ العِظَامِ

وَقَدْ يَطْوِي الأَزِقَّةَ مُسْتَمِيحًا *** فَيَحْرِمُهُ الحُطَامُ ذُو الحُطَامِ

وَقَدْ يَأْتِي البُيُوتَ بِهَا فَتَخْشَى *** ذَرَارِيهَا وَتَجْفَلُ كَالنَّعَامِ

وَقَدْ يُعْطَى الأَدَامَ بِلَا رَغِيفٍ *** وَقَدْ يُعْطَى الرَّغِيفَ بِلَا أَدَامِ

مَآسٍ كَالسِّهَامِ رَمَتْ فَأَصْمَتْ *** بِلاَدًا مِثْلَ أَهْدَافِ السِّهَامِ [1]

رسمت لنا هذه الأبيات صورة الفقير في الجزائر ، فقد صوَّر فيها محمد العيد الفقر في أجسم مظاهره عندما يداهم الإنسان بالعوز ، والمرض ، والحاجة ، فقد بيَّن فيها شدة الفقر التي دفعت الفقير إلى أن يطوف المزابل ، والنفايات ، بحثا عن الطعام فقد ظهر لنا جليا من خلال أبيات هذه القصيدة الروح الطاهرة للشاعر التي تواسي المنكوبين في محنهم ، فقد نقل لنا بصدق صورة هؤلاء الأشقياء ، ولعلَّ أبرز تجلٍّ لأثر ذلك الفقر هو حين شبَّه صورة حلوله بالفقير بصورة السهم الذي يصيب هدفه ، فكما أنَّ السهم هو وسيلة من وسائل القتال ، فإنَّ الفقر المدقع قد يؤدِّي بصاحبه إلى الهلاك كذلك .

ولم يكتفِ محمد العيد بالتنويه بحال الفقير ودفع المجتمع إلى مساعدته في هذه القصيدة فحسب ، وإنَّما كانت له قصائد أخرى في السياق نفسه ، وهي قصيدة " في ضلال الخير " التي قال فيها:

كَمْ ضَارِبٍ مِنْهُمْ فِي الأَرْضِ مَنْتَشِرٌ مَا حَاوَلَ الرِّزْقَ إلاَّ اعْتَاصَ وَامْتَنَعَا

وَعَاطِلٍ صُنْعَ الكَفَّيْنِ مُـقْتَدِرٍ مَهْمَا أَتَى مَعْمَلًا عَنْ بَابِهِ دُفِعَـا

وَمُسْتَغِيثٍ وَجِلَ النَّاسَ فِي شُغُلٍ عَنْهُ ، وَطَاوٍ وَجِلَ النَّاسَ قَدْ شَـبَعَا

وَثَاكِلٍ وَاصَلَتْ نَدْبَ البَنِينِ فَمَا قَلْبٌ لَهَا حَنَّ أَوْ طَرْفٌ لَهَا دَمَـعَا

وأَيِّمٍ وَيَتَامَى حَوْلَهَا اصْطَرَخُوا فِي اللَّيْلِ وَاصْطَرَخَتْ مِنْ بَيْنِهِمْ هَلَعَا

وَسَاهِدٍ لَمْ يَجِدْ ضَوْءاً لِمَنْزِلِهِ إلاَّ الفُؤَادَ ذُبَالًا وَالحَشَا شَمَـعَا [2]

1-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:144.

2- محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:233.

جاءت هذه القصيدة في نفس المقام الذي جاءت فيه سابقتها ، فقد عالجت هذه القصيدة موضوع الفقر ، فقد تناوله الشاعر بصورة متكررة في ديوانه حتَّى يؤكِّد عليه وعلى الأثر الذي يتركه في الإنسان ، فقد بيَّن من خلالها حال الذين داهمهم الفقر ولم يجدوا من يعاونهم على دفعه .

ومحاولت الشاعر محمد العيد آل خليفة في تذكير المجتمع بالدين الذي يأمر ويدعو إلى التكافل والتعاون مع الفقير، وهذا واجب في الإسلام:

قِفْ بِالجَزَائِرِ وَالْحِ فِيهَا أُمَّةً يَلْهُو الشِّبَاعُ بِهَا بِجُنْبِ الجُوعِ

لَمْ يَلْتَحِقْ بِالقُوتِ غَيْرَ مُقَتَّرٍ أَوْ يَلْتَحِقْ بِالثَّوْبِ غَيْرَ مُرَقَّعِ [1]

إذ يواسي المحتاجين والمحرومين جراء ما وقع لهم نتيجة الاستعمار الغاشم، فيقول:

يُنَاغِي البَائِسِينَ كَمَا يُنَاغِي لَعَمْرِي العَنْدَلِيبُ العَنْدَلِيبَا

وَيْحِي فِي رِثَائِهِمْ اللَّيَالِي وَيَنْهَضُ فِي مَصَارِعِهِمْ خَطِيبَا

بِقَلْبٍ يَلْفِظُ الأَنْفَاسَ حَرَّى وَعَيْنٍ تَذْرِفُ الدَّمْعَ الصَّبِيبَا [2]

ومرة أخرى دعا محمد العيد آل خليفة للتكفل معهم ، لأن الثمن يدفعه الفقراء جراء الاحتلال المدمر:

تَفَاقَمَ كَرْبُ الفَقِيرِ الكَسِيرِ أَمَا عِنْدَكُمْ مِنْ يَدٍ جَابِرَةِ

يَشُقُ عَلَيهِ الرَّغِيْفُ الطَّفِيفِ وَتَعُوزُهُ الخَرْقَةُ السَاتِرَةِ

فَيَا أَيُهَا الرَّافِعُونَ القُصُورَ إِلَى الجُوفِي الأُمَةِ القَاصِرَةِ

[1]- المصدر نفسه،ص:139.

[2]- نفسه،ص:261.

أَلَا تَذْكُرُونَ حُفَاةً عـرَاةً أَصَابَهُمْ الفَقْرُ بِالفَاقِرَةِ [1]

فهذه دعوة صريحة من الشاعر لأرباب المال وميسوري الحال يذكِّرهم فيها بدورهم تجاه الفئة الفقيرة ، ويدعوهم إلى مد يد العون ، وأن يجودوا عليهم ، ولو بالقليل ، حتى يدرؤوا به الفقر .

وتعرَّض محمد العيد إلى الظواهر الاجتماعية التي كانت منتشرة في وقته ، ولعلَّ من أخطر الظواهر هي انتشار المشروبات ، فقد كتب قصيدة في الخمر قال فيها:

الخَمْرُ شَرْبَةُ رِجْسٍ أَمْ أَرْجَاسٍ الخَمْرُ صَاعِقَةٌ تَهْوِي عَلَى الرَّأْسِ

الخَمْرُ مِحْنَةُ سُوْءٍ مَنْ أُصِيبَ بِهَا أُصِيبَ فِي كُلِ وَعْيٍ مِنْهُ حَسَاسِ

مَا الخَمْرُ إِلَا ظَلَامٌ لِلنُّفُوسِ فَلَا يُغْرِرْكَ مِنْهَا شُعَاعٌ لَاحَ فِي الكَأْسِ

عَلَى الفُؤَادِ بِهَا النِّيرَانُ مُوْقَدَةٌ وَفِي الدِّمَاغِ لَهَا دَقَاتُ أَجْرَاسِ[2]

تعتبر هذه القصيدة لوحة فنية رائعة وصفت لنا الخمر ، فقد دعا من خلالها الشاعر الناس إلى عدم شربها ؛ وذلك لحرمتها ؛ ولما لها آثار سلبية على صحة الإنسان ، ودعا إلى هجران هذه العادة ، ويهجر رفقتها ، حتى يأمن الإنسان العيش والهناء .

ولم ينسَ محمد العيد أبدا أشقاءه العرب ، وخاصة الفلسطنيين ، فقد نظم قصيدة من أجمل قصائده يتضامن فيها مع الفلسطنيين ويتعاطف معهم ، فقال في ذلك:

يَا فَلَسْطِينُ العَزِيزَةُ لَا تُرَاعِي فَعَيْنُ اللَّهِ رَاصِدَةٌ تُرَاعِي

وَحَوْلَكِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ جُنْدٌ كَثِيرُ العَدِّ يَأْزَرُ كَالسِّبَاعِ

1- نفسه، ص 394.

2-المرجع نفسه،ص256.

يَجُودُ بِكُلِّ مُرْتَخِصٍ وَغَالٍ لِيَدْفَعَ عَنْكِ غَارَاتِ الضِّبَاعِ

بُلِيتِ بِهِمْ صَهَايِنَةً جِيَاعًا فَسُحْقًا للصَّهَايِنَةِ الجِيَاعِ [1]

افتتح محمد العيد هذه القصيدة بالتضامن مع الدولة الفلسطينية على البلاء الذي أحل بها ، وهو احتلالها من طرف الصهاينة ، وقد أشاد في ذلك بقوة أهلها ، وقوة جيرانها وأنَّهم سيسعون سعيهم إلى تحريرها ، ثم انتقل إلى الهجاء ، فقد هجا الصهاينة ووصفهم بالجياع .

ثم عاد في أبيات أخر من القصيدة للإشادة بفلسطين وبجيشها ، فقد قال:

فَلَسْطِينُ العَزِيزَةُ ، لَا تَخَافِي فَإِنَّ العُرْبَ هَبُّوا للدِّفَاعِ

بِجَيْشٍ مُظْلِمٍ ، كَاللَّيْلِ غَطَّى حِيَالَكِ كُلَّ سَهْلٍ أَوْ يَفَاعِ

وَمَا أَسْيَافُهُ إِلَّا نُجُومٌ رُجُومٌ لِلْيَهُودِ بِلَا نِزَاعِ [2]

كما أطلّت المرأة في شعر محمد العيد آل خليفة منذ البدايات الأولى لتجاربه الشعرية ، ولم يتحدث عنها من وجهة ذاتية كالغزل ونحوه ، ولم يتحدث عنها من وجهة فلسفية كجمالها الإنساني ووظيفتها الطبيعية ، بل اكتفى بالحديث عنها من وجهة نظر اجتماعية محضة ، أومن جهة أدق هي مزيج من الدين والأخلاق والاجتماع ، فالبيئة التي تقلّب فيها تفرض عليه أن ينظر إلى المرأة على أنها كنز ثمين يجب المحافظة عليه بالدفاع والستر, وهكذا عبّر عن رأي الدين والأخلاق ، وركن إلى التقاليد الاجتماعية حين نادى بالحجاب للمرأة كي يقيها من الشرور والخطايا لأن عصمة المرأة في العفة والاحتشام :

1-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:303.

2-محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:303.

كَيْفَ يَنْجُو مِنَ الشُّرُورِ نِسَاءٌ *** لَا يُوَارِي وُجُوهَهُنَّ لِثَامُ

عِصْمَةُ المَرْأَةِ احْتِجَابٌ وَصَوْنٌ *** وَإِبَاءٌ وَعِفَّةٌ وَاحْتِشَامُ [1]

وهو في الوقت نفسه لا يقول بإبقاء المرأة في البيت محرومة حتى من نعمة التعليم والثقافة ، بل كان يعبّر عن رأي الدين أيضا في نوع هذا التعليم ، فهولا يطلب إليها أكثر من تعليمها حقائق الشرع ووسائل الوقاية والعفاف ، لأنه يعترف بأن المرأة المتعلمة تستطيع أن تدفع عن نفسها المغريات بوعيها وتفتّحها :

عَلِّمُوا المَرْأَةَ الحَقَائِقَ فِي الدِّينِ *** فَقَدْ طَوَّحَتْ بِهَا الأَوْهَامُ

عَلِّمُوهَا كَيْفَ الوِقَايَةُ مِمَّا *** هَاجَمَتْهَا بِشَرِّهَا الأَيَّـامُ

لَا تَغُرَّنَّكَ بِضَاعَةُ نَخًّا *** سِينَ كَانَتْ بِهَا الإِمَاءُ تُسَامُ[2]

وفي موضع آخر يعلّل طلب التعليم والثقافة للمرأة تعليلا اجتماعيا وطنيا، وذلك لأن المرأة المتعلمة تتبّع طرق التربية الصحيحة في إعداد الجيل الجديد، وتعرف كيف تُخرج منهم نشئاً قويا:

آتوا النساء نصيبهن من الهدى *** يُخرجن نشئاً كالرماح الشّرّع [3]

وينتقد الشاعر محمد العيد آل خليفة انحراف بعض الفتيات بقوله:

مَا بَالُ سَيْرِ فَتَاةِ العَصْرِ مُنْحَرِفًا *** يَهْوِي بِهَا فِي مَهَاوِي الإِفْكِ وَالزُّور ِ ؟

مَا بَالُهَا هَجَرَتْ آدَابَ مِلَّتِهَا *** مَا بَالُهَا أَعْرَضَتْ عَنْ خَيْرِ دُسْتُورِ ؟

1- ديوان محمد العيد آل خليفة، ص167.

2-محمد العيد آل خليفة،ص:168.

1-نفسه،ص:211.

فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ تَزْدَادُ ظُلْمَتُهَا *** فِي الرَّأْيِ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا سُورَةَ النُّورِ [1]

فالشاعر يرفض خروج الفتاة عن تعاليم دينها الحنيف لأن انحرافها يؤدي بها إلى الهاوية .

كان محمد العيد آل خليفة لا يترك مناسبة وطنية أو شعبية دون أن يسجّلها في شعره ولا يمر بمنظر يستثير عاطفته الإنسانية دون أن يطبعه ويُضمّنه إنتاجه بالتصريح إن وجد إلى ذلك سبيلا، ومن هنا وجدنا في شعره الحديث عن المدرسة والتعلم، والمرأة ، والصحافة والمساجد، ومشكلات الفقر، والأمية والبطالة والمواسم الدينية، والنكبات، ونحو ذلك من المواضيع الاجتماعية التي تمس الشعب في كيانه من أفكار وتجارب ، من أحزان وأفراح .

المبحث الثالث: البعد الديني .

2-نفسه،ص:305.

ممَّا لا شك فيه أنَّ الشعر هو وسيلة يعبِّر بها الشاعر عن رسالة من رسائل الوجود لذلك كان لزاما على الشاعر أن يشتغل شاعريته في تبليغ الدين ، وهذا ما فعله محمد العيد آل خليفة الذي هو رائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهذا ولقد كان الشغل الشاغل لمحمد العيد آل خليفة وبقية أفراد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو نشر الوعي بالدين الإسلامي في الأوساط الجزائرية ، بعد أن عملت فرنسا على طمس الهوية الوطنية الجزائرية ، وكذا تجهيل الشعب تسهيلا للسيطرة عليه ، فما كان من محمد العيد ورفقائه إلا أن يُنشئوا المدارس الخاصَّة بالتعليم والثقافة .

وفي عام 1937م افتتحت في ولاية " تلمسان " مدرسة دار الحديث بغية نشر تعاليم الدين الإسلامي ، وتوعية الجزائريين ، وقد قال في ذلك:

أُحَيِّي بِالرِّضَا حَرَمًا يُزَارُ وَدَارًا تَسْتَضِلُّ بِهَا الدِّيَارُ

وَرَوْضًا مُسْتَجَدَّ الغَرْسِ نَضْرًا أَرِيضًا زَهْرُهُ الأَدَبُ النُّضَارُ [1]

لقد شبَّه محمد العيد في هذين البيتين مدرسة دار الحديث بالحرم الذي يُزار ويقصده الناس من كل حدب وصوب ، وفي هذه الصورة التشبيهية التمثيلية تحقيق لقيمة تلك المدرسة ، وأهميتها ودورها العظيم في سبيل إخراج الناس من ظلمات الوهم إلى طريق الحق والهداية ، وشبَّهها كذلك بالشجرة العظيمة ذات الأغصان الكبيرة وذات الضل الكبير ، فهي يستضل بها كل من يدخل تحتها ، فكذلك هذه المدرسة ستكون حامية ، إن شاء الله تعالى للجزائريين من خلال القيام بدورها المنوط منها ، ألا وهو التربية والتعليم ، إضافة إلى تشبيهها بالروضة في حسنها وبهائها ، من خلال أنَّ خيرة العلماء الجزائريين ، وكذا العرب هم من يحملون على عاتقهم مسئولية التدريس في هذه المدرسة ، وهو من سينشرون تعاليم الدين الإسلامي ويوعون الجزائريين .

[1] محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:76.

ولمَّا صدح صوت الإسلام في بقاع المعمورة شتَّى ، ظهرت بعض الأصوات التي تتحامل على هذا الدين ، وراحت بسبل مختلفة تبحث له عن العيوب والمناقص بغية ضربه وزعزعة كيانه ولقد كان من أولئك المتحاملين أحد الاستعماريين الفرنسيين ، وهو " آشيل " الذي تكلَّم عن الدين الإسلامي والمسلمين بسوء ، وادَّعى في ذلك أنَّ القرآن الكريم هو كتاب مثير للحروب وعنوان للهمجية والكراهية ، فما كان لرجال الجزائر وعلمائها إلا التصدِّي لمثل هذه الأفكار ، فقد ردَّ عليه محمد العيد آل خليفة كلامه في قصيدة " هذيان آشيل " قال فيها:

هَيْهَاتَ ، لَا يَعْتَرِي القُرْآنَ تَبْدِيلُ وَإِنْ تَبَدَّلَ تَوْرَاةٌ وَإِنْجِيلُ

قُلْ لِلَّذِينَ رَمَوْا هَذَا الكِتَابَ بِمَا لَمْ يَتَّفِقْ مَعَهُ شَرْحٌ وَتَأْوِيلُ

هَلْ تُشْبِهُونَ ذَوِي الأَلْبَابِ فِي خُلُقٍ إِلَّا كَمَا تُشْبِهُ النَّاسَ التَّمَاثِلُ

فَأَعْزَوْا الأَبَاطِيلَ لِلْقُرْآنِ وَابْتَدَعُوا فِي القَوْلِ ، هَيْهَاتَ ، لَا تُجْدِي الأَبَاطِيلُ [1]

لقد دافع محمد العيد في هذه الأبيات عن الدين الإسلامي ، وخاصَّة القرآن الكريم ، بعد رموه بعيوب عدَّة ، فقد تعجب من الذين يتكلمون عن هذا الكتاب السالم من العيوب والنقص وأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد على وجه الكرة الأرضية الذي لا يطؤه التزييف والتحريف وأن ما سواه من الكتب شملها التحريف والزوال ، إلا القرآن الكريم ، فما كان لهم إلا أن يتكلموا عنه وأشار إلا أن كلام " آشيل " وغير من الذين وافقوه أنه يعرى من الصحة ، والشرح ، والبرهان الساطع على ما أتوا به من كلام باهت ، إضافة إلى أنه شبههم بالتماثيل الصماء التي لا تملك للناس نفعا ولا ضرا ، ووجه الشبه في ذلك أن كلامهم لن

[1] محمد العيد آل خليفة،ديوانه،ص:82.

يغير أبدا نظرة الآخرين للقرآن الكريم وكذا الدين الإسلامي والمسلمين ؛ لأنَّ عظمة كتاب الله وعظمة دينه من الأمور المسلم بها لدى المسلمين .

خـاتـمـة

خاتمة .

ومما سبق قوله يتبين لنا أهمية هذا البحث الذي تناولناه والذي كان بعنوان البعد الاجتماعي في شعر محمد العيد آل خليفة وبعد عرضنا وتحليلنا أجزاءه نستنتج

إن معطيات النتاج الشعري قد أكسبت محمد العيد آل خليفة شعرا إبداعيا وراقيا فالعامل الاجتماعي وغرضه الإصلاحي كان له دور كبير في نتاج شعر آل خليفة حيث أنه كما عاش تلك الظروف مع مجتمعه جسدها في شعره وحاول من خلاله إصلاحه من ما هو عليه جراء الاستعمار الفرنسي والذي كان عاملا سياسيا قويا في إنتاج شعر آل خليفة حيث عانى ويلاته رفقة مجتمعه وعاش مختلف مظاهر الظلم والاستبداد من ما دعاه لكتابة شعر يدعو فيه لضرورة الكفاح والنضال للدفاع عن الأرض المسلوبة وعن الوطن وخاصة بعد أحداث الثامن ماي 1945 والتي كانت بمثابة المنعرج الأساسي للقيام بثورة تحرر الأرض والوطن من المحتل الغاصب وكما كان العامل الفكري مهما أيضا حيث ساهم في كسبه لحب الوطن والعقيدة حيث قام بالدفاع عنهما وألح إلحاحا لذلك حتى تحقق مراده وتحرر وطنه . وكما أن حبه لوطنه وحبه للدفاع عنه جعله ملتزما بقضاياه وقضايا الشعب الجزائري الأبي وحتى عن الأمة العربية وخاصة القضية الفلسطينية والتي هي قضية كل عربي ومسلم وكما امتاز شعره ببنية فنية وجمالية يميزها الإبداع والدقة وهذا ما تجسد من ناحية اللغة والأسلوب ومن ناحية الموسيقى والعروض والتصريع والتكرار والجناس فقد كان تجسيده لهم واستعماله لهم احترافي يبين اللمسة الإبداعية له .

أما أبعاد الشعر عنده فكانت مجسدة تجسيدا دقيقا ومبدعا حيث إن البعد الاجتماعي والذي يضم الوطنية والقومية والإصلاحية جسدهم آل خليفة تجسيدا يلامس الواقع المعاش حيث وطنيا كان وطنه يعاني ويلات المحتل الفرنسي ويحتاج لنيل الحرية والاستقلال ولا يكون ذلك إلا بالدعوة للنضال والكفاح المسلح وهذا ما تبين في شعره حيث دافع عن

وطنه والح على وجوب تحريره وكما أنه أيضا لم ينسى الدفاع عن القضايا التي تخص الأمة العربية بما فيها القضية الفلسطينية وهذا واجب على كل عربي مسلم لا سيما الشعراء وبما أنه عضو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين والتي تدعو لإصلاح المجتمع من مفاسد المحتل الغاصب وحمايته والدفاع عن الدين والوطن وقد جسد آل خليفة كل هذا في شعره الإصلاحي أيضا. وبالحديث عن البعد الإنساني فقد جسد آل خليفة الظروف الإنسانية التي عاشها الفقراء من قهر وبؤس وفقر حيث تناول حالهم البائس والح على الأغنياء من الجزائريين لمساعدة هؤلاء الضعفاء المساكين وبالحديث عن البعد الديني نجده لم يتردد قط عن الدفاع عن الدين الإسلامي الذي هو عمود الأمة الإسلامية والعربية وحمل راية الدعوة لذلك حيث تصدى بشعره لكل محاولات طمس الدين والبعد عنه وكذا إصلاح الشعب من أي مفسد ومشوه للدين.

الملخص:

إن الاهتمام بتراثنا الأدبي والشعري منه خاصة يعتبر من الضروريات ؛ لذا يزخر الأدب العربي الحديث بالعديد من القيم الاجتماعية، حيث مر بظروف ومراحل شديدة القساوة ،ويلعب الشعر منه خاصة دورا بارزا في حياة الشعب الجزائري تعبيرا عن واقعه وأحداثه الهامة وهذا ما سعى إليه الشعراء الجزائريين في استخدامهم القيم الاجتماعية وأبعادها ، حيث كانت طاغية في شعر محمد العيد آل خليفة ، كما أنَّه يعتبر من الشعراء الجزائريين الأفذاذ وذلك من خلال شعره الذي مر بمراحل وشهد ظروفا سياسية ، وثقافية وأدبية ، وإصلاحية ، ومن خلالها ظهرت عدة اتجاهات غيرت معها مفهوم الشعر من حيث الشكل والمضمون .

الكلمات المفتاحية :

البعد الاجتماعي ، الوطنية ، الإصلاح ، الدين ، البعد الإنساني .

sommaire:

Il est de notre intérêt de prendre en considération notre patrimoine littéraire et notamment celui de la poésie qui renferment (comprennent) un ensemble de valeurs sociales. par ailleurs, la poésie, en somme, le moyen par excellence, pour les poètes algériens, d'exprimer leurs opnions, leurs émotions et leurs existences. et Mouhammad aid el khalifa fut l'un des figures héroïques et illustres poètes qui a révolutionné la poésie arabe dans toute sa dimension (le fond et le contenu) en puisant dans les valeurs sociales ancestrales.

Research Summary:

The interest in our literary and poetic heritage, in particular, is considered one of the necessities. Therefore, modern Arabic literature is rich in many social values, as it went through very harsh conditions and stages. Poetry, in particular, played a prominent role in the life of the Algerian people, as an expression of its reality and important events, and this is what the Algerian poets sought in Their use of social values and their dimensions, as they were tyrannical in the poetry of (Muhammad Al-Eid Al Khalifa). He is also considered one of the most distinguished Algerian poets, through his poetry, which went through stages and witnessed political, cultural and literary conditions and through which several trends emerged that changed the concept of poetry from form and content.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع .

المصادر :

-محمد العيد آل خليفة ،الديوان ،دار الهدى للنشر والتوزيع ،عين مليلة –الجزائر ،دط 2010م.

المراجع :

-أبو القاسم سعد الله ،شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت –لبنان ،ط1984،1م.

-أبو اليقظان ، جريدة الأمة ،عدد 135 نقلا عن حمادي عبد الله :أصوات من الأدب الجزائري الحديث ، دار البعث، قسنطينة – الجزائر،2001

-ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،تح:محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت –لبنان ،ط1981،5م،ج1.

-إميل بديع يعقوب ،المعجم المفضل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،ط1991،1م.

- إبراهيم لقان ، ملامح المقاومة ضد الاستعمار (شعر محمد العيد آل خليفة دراسة فنية)

-أنيسة بركات دردار ،أدب النضال في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، د ط م1984.

-عبد العزيز عتيق ،علم البديع ،دار النهضة العربية، بيروت- لبنان،دط،دت.

-علي جعفر العلاق ،في حداثة النص الشعري (دراسة نقدية)،دار الشرق ،عمان - الأردن ،ط1،2003م.

-قدامة بن جعفر ،نقد الشعر ،تح: محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان ،دط، دت.

- لطيفة زواري فرحات ، الأبعاد الإنسانية والفنية في الشعر الجزائري الحديث ـ ديوان محمد العيد آل خليفة شاهدا .

-مجدي وهبة وكامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب

- محمد بن سمينة ،محمد العيد آل خليفة ، دراسة تحليلية لحياته ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، دط ، 1992م.

-محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر: حسن فتح الباب ، الدار المصرية اللبنانية ، (ط1)،(ت2002).

- هيبة مسعي ، التجربة النقدية لأبي القاسم سعد الله محمد العيد آل خليفة – دراسة ونقد-

المجلات :

- نور الدين السد ،المكونات الشعرية في بائية مالك بن الريب ،مجلة اللغة والأدب ،العدد 14،1999م.

المواقع الإلكترونية :

-شبكة النبأ المعلوماتية: علاقة الأدب بالمجتمع ،annabaa.org: //http.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات .

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وعرفان	**I**
إهداء	**II**
مقدمة	أ
تمهيد	**4**
الفصل الأول: " السياق العام في شعر محمد العيد آل خليفة "	**6**
المبحث الأول: معطيات النتاج الشعري عند محمد العيد آل خليفة	7
المبحث الثاني: البنية الفنية والجمالية اللغوية في شعر محمد العيد آل خليفة	18
الفصل الثاني: أبعاد الشعر عند محمد العيد آل خليفة "	**25**
المبحث الأول: البعد الاجتماعي	26
المبحث الثاني: البعد الإنساني	34
المبحث الثالث: البعد الديني	43
الخاتمة	**46**
ملخص الرسالة	**49**
قائمة المصادر والمراجع	**50**
فهرس الموضوعات	**53**